

تمظهرات الاغتراب في رواية "أحاسيس في المنفى" لأسى الزهار

The Manifestation of Alienation in « Feelings in Exile »by Asmaa Al-Zuhar

د.مداني خديجة*

جامعة حسيبة بن بوعللي.شلف

khadidjamadanidoctorat@gmail.com

تاريخ الارسال 2025-07-19 تاريخ القبول 2025-08-12 تاريخ النشر 2025-09-16

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية تمظهرات الاغتراب في الرواية الجزائرية المعاصرة، وكيف شكل الاغتراب تيمة بارزة في رواية "أحاسيس في المنفى" من اغتراب للذات وانشطارها بين التمرد واللا قيد وبين الخضوع والانصياع، وكيف استطاعت الروائية أن تبث صور الاغتراب في ثنايا روايتها محققة وببراعة تصوير معاناة المرأة عندما تسلب حق الاختيار وحق الحب وحق العيش كما تشاء. الكلمات المفتاحية: تمظهرات ، الرواية الجزائرية المعاصرة، الاغتراب، أحاسيس في المنفى

Abstract

This research paper deals with the appearances of alienation in the contemporary Algerian novel, and how the alienation formed a prominent theme in the novel "Sensation in Exile" from the alienation of the self and its fission between rebellion and restrictions and between submission and obedience, and how the novelist was able to broadcast images of alienation in the folds of her narration achieved and the ingenuity of photographing the suffering of the woman when she takes away the right to choose and the right of love and the right to live as you like as you want

Keywords: manifestations, contemporary Algerian novel, alienation, feelings in exile

1. مقدمة:

شكل الاغتراب كمفهوم متعدد المجالات والخلفيات الفكرية والفلسفية إشكالا لمن يود أن يقدم له تعريفا يتناول هذا المفهوم من كل نواحيه وجوانبه، وذلك لأن هذا المفهوم عرفته مجالات متعددة لها محدداتها المعرفية كعلم النفس علم الاجتماع الدين الفلسفة... ومن ثمة فتقديم تعريف شامل يستلزم من الباحث الإحاطة بكل ما له صلة بالاغتراب. ومن هذا المنطلق يهدف البحث إلى الإحاطة بـ:

__ ماهية الاغتراب

__ تمظهراته وصوره في رواية "أحاسيس في المنفى".

2_ ماهية الاغتراب :

تعددت مفاهيم الاغتراب من تعدد المنطلقات الفكرية والمجالات التي عنيت بإبراز ماهيته؛ فإذا عدنا إلى مفهوم الاغتراب نجد أن المنطلق الأول الذي اصطبغ به هو المنطلق الديني، فهو يعود لتلك اللحظة التي غربت الجنة عن آدم عليه السلام عليه ونزل إلى الأرض مغتربا عنها وعن المعية الإلهية التي كان يحظى بها قبل عصيان أمر ربه¹، فحقيقة الوجود الإنساني هي وجود مغترب بالقدرة الإلهية قبل الضرورة الفلسفية أو النفسية، وفي هذا الإطار فالوجود الإنساني "اغتراب وخطيئة وأن أول غربة اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبية لله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة"². فالاغتراب ضارب الجذور منذ فجر البشرية، من المعصية الأولى لسيدنا آدم والتي كان نتيجتها اغتراب إلى حين عن الجنة، إلى اغتراب الإنسان بولادته عن رحم أمه.

وهذا يقودنا إلى المفهوم اللغوي للاغتراب؛ ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس في باب (غرب) يقول: "والغربة: البعد عن الوطن، يقال غَرَبَ الدار، ومن هذا الباب غروب الشمس، كأنه بعدها عن وجه الأرض، وشأو مغرب أي بعيد. ويقولون: هل من مغربة من خبر يريدون خبرا أتى من بُعد"³. أما في مختار الصحاح للرازي فيقول: "الغربة والاغتراب تقول تغرب واغترب بمعنى فهو غريب وغرب بضمين والجمع غرباء. والغرباء أيضا الأبعد، واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه... والتغريب النفي عن البلد، وأغرب جاء بشيء غريب وأغرب أيضا صار غريبا"⁴. فالجامع بين هذين التعريفين هو أن مفهوم الاغتراب جاء بمعنى البعد والابتعاد.

أما في اللغة الإنجليزية فالاغتراب ترجمة للمصطلح (Alienation) مستمد من الكلمة اللاتينية (Alienatio) وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني (Alienare) بمعنى يحول أو ينقل أو يبعد، وهذا الفعل مأخوذ من كلمة لاتينية أخرى هي (Alienus) أي الانتماء إلى شخص آخر أو التعلق به⁵. ولقد استخدمت الكلمة اللاتينية Alienatio للدلالة على عدة معاني نذكر منها:

1_ المعنى القانوني:

حيث يدل الفعل اللاتيني Alienare على تحويل ملكية شيء ما إلى شخص آخر، فما هو لي ينتقل لغيري ويصبح غريبا عني.

2_ المعنى الديني:

يتعلق بـ انفصال عن الله أي يتعلق بالخطيئة وارتكاب المعصية، والخطيئة بحسب التصور الديني في الإنجيل ليست مجرد تعدد على شريعة الله وأحكامه إنما هي انفصال عن الله.

3_ المعنى الاجتماعي:

يدل الفعل اللاتيني Alienare على معاني التسبب في فتور علاقة حميمة مع شخص ما أو في حدوث انفصال أو جعل شخص ما مكروها، أيضا يمكن أن تشير الكلمة اللاتينية Alienatio إما إلى هذه الحالة من الانفصال أو الشقاق أو الظروف التي تنجم عنها.

4_ المعنى النفسي:

تدل كلمة Alienatio على حالة من "فقدان الوعي" و"العجز" أو فقدان القوى العقلية أو الحواس وكذلك تستخدم كمعنى للتصدع الذهني.⁶

أما هيجل فقد عرف الاغتراب بأنه حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته منتجاته وممتلكاته فتوظف لصالحه الخاص. وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمه وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته⁷، حيث يقول هيجل: "إن العقليجد نفسه في حالة حرب مع نفسه ومخلوقاته، وكما يتمكن العقل من تحقيق ذاته الفضلى لا بد له في نهاية المطاف من تجاوز عجزه بالتغلب على المعوقات التي تفصله عن مخلوقاته وتحد من تحكمه بها".⁸ فمفهوم هيجل للاغتراب تركز على حالة العجز واللاقدرة التي يشعر بها الإنسان عندما يفقد تقرير مصيره وتغيير الأحداث لصالحه.

وإذا عدنا إلى كارل ماركس نجد أن مفهوم الاغتراب لديه قد اختلف عما جاء به هيجل، إذ حوّل من مفهوم فلسفي إلى مفهوم اجتماعي اقتصادي ورغم تأثر كارل ماركس بهيجل وفويرباخ إلا أنه تجاوز المفاهيم المثالية للاغتراب في الفكر الأوروبي، إذ يظهر أن الاغتراب حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية التي حولت العامل إلى كائن عاجز وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه ومعادية له وقال: "إن العامل في ظل النظام الرأسمالي يهبط إلى مستوى السلعو ويصبح حقا أكثر السلع تعاسة، وتزداد تعاسته بازدياد قوة إنتاجه وحجمها. يصبح العامل سلعة رخيصة بقدر ما ينتج من سلع وبتزايد قيمة عالم الأشياء تتدنى قيمة الإنسان نفسه".⁹

كما يعرف الاغتراب بأنه انسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء وانعدام الشعور بمغزى الحياة. أما الانتماء فهو اتجاه يستشعر من خلاله الفرد توحده بالجماعة وبكونه جزءا مقبولا منها، ويستحوذ على مكانة متميزة في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه.¹⁰ والغريب أنه رغم كثرة ما كتب عن الاغتراب إلا أنه كمفهوم لا يزال يعاني كثيرا من الغموض، لكن رغم التباين والاختلاف في الرأي وأسلوب المعالجة فإن كل المحاولات التي بذلت تدور حول أمور معينة تشير إلى عناصر معينة في مفهوم الاغتراب كالانسلاخ عن المجتمع والعزلة أو الانعزال... إلخ.¹¹

ويمكن تقسيم مسيرة مصطلح الاغتراب إلى ثلاثة مراحل:

__المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل هيجل: حيث يحمل مفهوم الاغتراب معاني مختلفة تكمن في سياقات ثلاثة هي: السياق القانوني (بمعنى انتقال الملكية من صاحبها وتحويلها إلى آخر)، و السياق الديني (بمعنى انفصال الإنسان عن الله) وال سياق النفسي والاجتماعي (بمعنى انتقال الإنسان عن ذاته ومخالفته لما هو سائد في المجتمع)¹².

__المرحلة الثانية: المرحلة الهيجلية: رغم استخدام مفهوم الاغتراب قبل هيجل فإنه أول يعد أو من استخدم مصطلح الاغتراب استخداما منهجيا مقصودا ومتصلا، حتى أطلق على هيجل (أبو الاغتراب) حيث تحول الاغتراب على يديه إلى مصطلح فني.

__المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد هيجل: إذ بدأت تظهر النظرة الأحادية إلى مصطلح الاغتراب حيث اقتزن في أغلب الأحوال بكل ما يهدد وجود الإنسان وحرية. وأصبح الاغتراب وكأنه مرض أصيب به الإنسان الحديث¹³.

تعددت أبعاد الاغتراب ومظاهره رغم عدم وجود اتفاق تام لمفهوم الاغتراب إلا أن هناك اتفاق بين الباحثين على العديد من مظاهره وأبعاده. ومن أبرز هذه المحاولات محاولة ملفن سيمان إذ أشار إلى خمسة أبعاد لمفهوم الاغتراب هي: العجز، واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية واغتراب الذات. كما جاء في دار المعارف البريطانية إضافة إلى هذه الأبعاد الغربية الثقافية، وعالج باحثون آخرون مظاهر أخرى على أنها حالة من حالات الاغتراب كالانتحار وفقدان الانتماء وازدياد الهوة بين الأجيال والتمرد وتعاطي المخدرات، مع أن بعض هذه الجوانب لا يدخل في إطار الاغتراب وإنما قد يكون نتيجة الشعور بالاغتراب¹⁴.

3_ تجليات الاغتراب في رواية "أحاسيس في المنفى" لأسمى الزهار:

وقع اختيارنا على رواية "أحاسيس في المنفى" لأسمى الزهار لأنها استطاعت أن تنسج بحروفها صورا للاغتراب بارزة، تمكنت أسمى الزهار أن تصور الذات الإنسانية وهي تعيش الانشطار والعجز والتمرد، واستطاعت أن تفجر دلالة الاغتراب بداية من عنوان الرواية الذي شكل بؤرة الاغتراب التي رصدها المتلقي. سبق الذكر أن مفهوم الاغتراب مفهوم متعدد المجالات واسع المدارك، ولعل رصد مظاهره في عمل أدبي كالرواية والتي تمتاز بأنها عمل فني معقد متضمن لرؤية ما للعالم، تحمل فكرا وثقافة وإيديولوجية إلا أننا سنهتدي بأبعاد الاغتراب التي حددها ملفن سيمان كمنطلق مبدئي من خلاله نرصد تمظهرات الاغتراب في نص "أحاسيس في المنفى".

أبرز ما يمكن للقارئ الحصيف أن يلاحظه ويرصده أن العتبة النصية كانت مفعمة ومشحونة بجوهر الاغتراب والإحالة إليه بطريقة تحدث محاورة القارئ لمدخلاته الفكرية وخلفياته الفلسفية، فهل المنفى في عنوان الرواية "أحاسيس في المنفى" منفى حقيقي مكاني أم أنه مجازي معنوي وجودي؟ وذلك ما أفلحت فيه الرواية عندما أحالت القارئ لمعنى الاغتراب من العنوان، فالعنوان في الرواية أضحي محطة ارتكازية في بناء جمالية النص¹⁵.

إن الاجتراء يتنافى مع شمولية النص الروائي وفيه ضيم لجماليته إلا أنه لا بد من الاعتماد عليه ولو على سبيل الاستشهاد من الرواية وذلك بغية رصد تمظهرات الاغتراب. يعد نص "أحاسيس في المنفى" من أهم النصوص التي استطاعت أن تقدم الاغتراب كتصور إنساني بكل تناقضاته، وسلطت الضوء على المرأة كنموذج يعيش الاغتراب

وانعكاساته بكل صدق. فأبرز ما يمكن استشفافه أن هذا النص ينسج بين سطور مظهرين للاغتراب لا يمكن الفصل بينهما, أو أن أحدهما تسبب في وجود الثاني ألا وهما: العجز واغتراب الذات.

فإذا كان العجز هو شعور الفرد بالاحول واللاقوة وأنه يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته, وبالتالي لا يستطيع أن يقرر مصيره فمصيره وإرادته ليسا بيديه بل تحددهما عوامل وقوى خارجة عن إرادته الذاتية, كما لا يمكنه أن يؤثر في مجرى الأحداث أو صنع القرارات المصيرية الحياتية, وبالتالي يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع¹⁶. أما اغتراب الذات وإن تعددت محدداته فيمكن الاعتماد على المفهوم القائل بأنه عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه حيث تسير حياة الفرد بلا هدف ويحيا لكونه مستجيبا لما تقدمه الحياة دون تحقيق ما يريد من أهداف, فالفرد يشعر بأنه غريب عن نفسه حيث لم ير ذاته أو يجربها كمركز لعالمه أو كناشئ وخالق لأفعاله¹⁷.

استطاعت رواية "أحاسيس في المنفى" أن تؤسس للاغتراب في أعقد صورته عندما صورت اغتراب الذات الإنسانية, كما صورت انفصال الإنسان عن ذاته وغربته عنها عندما يفقد السيطرة على زمام أمور حياته. ليبرز العجز كمظهر آخر للاغتراب والذي كان في هذا النص السبب الرئيس في الغربة الإنسانية. وهذا ما ظهر جليا في تشكيل الشخصية البطلية شخصية "دلال".

4_ شخصية "دلال" بين العجز واغتراب الذات:

أكثر ما يميز شخصية "دلال" الشخصية البطلية في هذه الرواية, هو ذلك الألق والجمال الظاهري وقوة الشخصية ولا عجب في ذلك فهي ابنة السيد ناجي صاحب الشركة والذي يملك ثروة طائلة, وهي التي تدير معه شؤون شركاتها باعتبار أنها ابنته الوحيدة والوريثة الشرعية له, والتي درست الاقتصاد حتى تحسن إدارة الشركة. لكن لو غصنا في شخصية "دلال" نجد أنها أرغمت على دراسة الاقتصاد وهي التي تهوى الكتابة ولها ميول أدبية, لكن سطوة والدها وحرمانها أبسط حقوقها وهي اختيار ما تريد جعلها تكون كعروس الماريونات, تقول الروائية: "أقفلت دلال الهاتف وبدخلها شيء ما شعور يجول على قمردها يقول لها أنت لست إنسانا أنت مجرد عروس الماريونات التي أدخلها والدها كلية الاقتصاد لإرضاء طموحه على حساب سعادتك وآمالك الشخصية"¹⁸.

فأول ما يلفت الانتباه الانتباه أن العجز الذي شعرت به دلال والذي شل كل قدراتها في تحقيق ما تصبو إليه أحدث انشطارا نفسيا في شخصية دلال بل جعلها تشعر بانفصالها عن ذاتها وغربتها عنها تقول الروائية: "لملمت نفسها المتناثرة من حولها وتركت لجرحها مساحة شاعرة كي تقول أكثر (...). لكن الجراح تأتي أن تتكلم في حضرة الأقدار تظل منزوية ومكتمة ومسافرة بأرواحنا لا لتقتلنا ولكن لتصنع لنفسها بداخلها بيتا يلائمها وتغلق على نفسها كل الأبواب دون أن تترك فرصة فتحها"¹⁹.

إن تشكل شخصية "دلال" كان يحمل من التناقض الشيء الكثير فهي رغم حنكتها في إدارة شؤون شركة والدها رغم عجزها وأسلوبها الفض مع من يخدمونها في المنزل رغم أنها كانت تبدو بمظهر المرأة القوية الحرة إلا أنها كانت تخفي قلبا طيبا ومشاعر مرهفة "لم تكن دلال متمردة ومدللة فقط بل كانت أنثى طيبة خيرة لا تقدر على إيذاء ثملة ولم تكن حرة بقدر ما كانت سجينه أحساسيهها المرهفة ومشاعرها الراقية لطالما كانت تسيء إلى الخدم بكلمات بذيئة وعبارات سيئة لكنها كانت تعتذر في أغلب الأحيان"²⁰، فالذي جعل دلال تعيش التخبط في الحياة هو عجزها عما كانت تصبو إليه والحجر على أحلامها وأهدافها، وهذا ما شكل علامة فارقة في الانشطار النفسي الذي عاشته "كان بداخلها حزن عميق لأنها لم تمنح حرية الاختيار في الجامعة (...). ظلت فترة طويلة تبكي إرادتها المسلوقة وتغار من صديقتها بالجامعة اللواتي يدرسن شعبا اخترنها بإرادتهن"²¹ مما ساهم في انفصالها عن ذاتها.

وما يبرز عمق الاغتراب عن ذاتها حوارها مع نادية ابنة عمها عندما سألتها ألا تشعر بأن المسؤولية الملقاة على كاهلها أكبر من سنّها فقالت " (...) ولدت وأنا أحمل القلم وأكتب بين طيات دفاتري الحياة بكل ألوانها وأشكالها وعندما أرغب في نسيان شيء أمحوه بمحاة الذاكرة حتى كبرت ودرست الاقتصاد مرغمة كغنيمة تقاد إلى المذبح دون أدنى شعور ترعرعت في وسط يرأسه الصمت وتحكمه قوانين الخضوع (...) كغريب أراد أن يجلس أمام المدفأة لا ليتدفأ ولكن لأنه متيقن أنه سيكون أكثر وحدة وحزنا كلما ابتعد عنها"²²، فتصويرها العميق لعجزها ويأسها وعدم قدرتها على التغيير يبرز هذه الغربة التي تعيشها.

لم تتوقف سطوة الأب ناجي وسيطرته وقمعه لأحلام دلال عند اختيار تخصصها الجامعي فحسب؛ بل هو يتحكم في حلمها في الزواج والأمومة إذ قمع الأنثى التي بداخلها والتي تحلم بأن تشعر بالحب والأمان في كنف زوج يحبها ويرعاها، وتحقق حلم الأمومة الذي هو غريزة فطرية لكل امرأة، مما عظم الهشاشة النفسية عند دلال فهو لا يقبل أي رجل يتقدم لخطبتها بحجة أنه سيكون طامعا في ثروتها، لذلك كان لا بد لهذا الزوج المستقبلي من منظوره أن يكون ثريا "هذا الشعور الغريزي بالفطرة والذي يختزل كل رغباتها ويستخرج من باطنها تلك الأنثى التي تبحث في قاموس حياتها عن الأمومة ولكنها لا تجدها سوى في منازل الآخرين (...)"²³.

وأبرز ما يمكن أن يصور الواقع المرير للمرأة هو حقها المسلوب في العيش بحرية، فمن المفارقات العجيبة أن المرأة المثقفة المتعلمة القوية، التي ظاهريا تملك كل مفاتيح الحرية تعيش الاضطهاد ذاته الذي تعيش المرأة الأمية الضعيفة المسلوقة حق العيش حقا، فقد اشتركتا في عجزهما وانصياعهما لقوانين المجتمع الظالم، فما تعيشه دلال عاشته أمها سلمى في بيت أبيها في حرمانها التعليم كونها امرأة، وحتى بعد أن تزوجت ناجي، إلا أن سلمى رغم أنها امرأة عاشت الظلم إلا أنها لم تكن عوناً لدلال حتى في حقها في الزواج والأمومة "لم تكن تعارض ناجي على رفضه الدائم والمتواصل على زواج دلال لأسباب لا تفهمها، كونها صغيرة غنية جميلة حقا والأهم من كل هذا أنها الوارثة الشرعية والوحيدة لشركات والدها".²⁴

فامرأة كدلال تملك كل مواصفات الجمال والمال والوجاهة الاجتماعية، وقلبا نابضا بالحياة حالما بالحب، كانت هشة من الداخل بحاجة إلى الحب والاحتواء هذا ما جعلها تهزم مع أول مشاعر حب مع الطيار الذي التقته في رحلة عمل، و التقته مجددا في إحدى متاجر باريس وطلب منه أن تختار له ساعة رجالية. هذه المشاعر أحدثت لدلال ارتباكاً لم تعهده ومشاعر بريئة لم تعيشها من قبل، إذ هزمت دون مقاومة وهي القوية الشرسة، مما يدل على رهافة حس وضعف وهشاشة كبيرة، إلا أن هذه السعادة لم تدم طويلاً إذ أعدم الطيار كل أحلامها بعد حوارها معه:

_"هل استمتعت بالرحلة؟"

_"لا لقد كنت قائداً سيئاً"

_"لماذا؟"

_"لأن الاهتزازات كانت عنيفة."

_"ولكن ذلك ليس ذنبى، ذلك وقع المطبات الجوية على الطائرة الناتج من سوء الطقس والتهطل المستمر للأمطار."

_"كان من الأفضل تأجيل الرحلة"

_"لكنني انتظرتها بصبر طويل وبحزن أطول."

_"لماذا؟"

_"لأنني أعرف أننا سنفترق مثلما التقينا"²⁵

انكسار دلال من الطيار زادها غربة على غربتها وانكفأت على نفسها وانهارت دموعها التي ما كانت لتنزل لولا حزنها وانكسارها "كيف ستلجأ إليه وهو الذي نفتته الأرض كي تحتضنه السماء في أول بيت من قصيدة البقاء واضمحلت أحاسيسها وتلاشت وباتت تعيش بمنفى بمنأى عن أحلامها المتمردة، بكت دلال وهي التي لم تتعود إلا الضحك والقهقهات العالية"²⁶.

إن ما ساهم في اغتراب دلال عن نفسها هو شعورها الدائم بالعجز الناجم عن سطوة والدها على حقها في العيش إذ كان يفرض معادلته في الحياة دون أن يأبه لمشاعر ابنته، فرغم عودة الطيار ورغبته في خطبة دلال إلا أنه رفض ذلك، بل كان يخطط لزواج ابنته من صديقه الثري أحمد والذي يكبرها بخمس وثلاثين سنة، فكل أحلامها كانت تؤاد بسبب والدها فمن "يستطيع أن يضع أحاسيسه تحت الإقامة الجبرية ليس بإمكانه أن يتسم لمشاعر الآخرين إلا وهي بالمنفى بمعزل عن نيته المجتررة للمصالح الشخصية التي لا تقف فقط عند ظلمه واستبداده وإنما تحرمه من أن يشتري نفسه بكل ثرواته وممتلكاته"²⁷. فهل ستمرد دلال على قرار والدها في زواجها بأحمد أم أنها ستبقى عاجزة على الرفض، وهل ستظل متخبطة بين حقها في العيش أم أنها ستستسلم في النهاية لأب يفتقد لكل المشاعر الإنسانية:

"ركضت كلماته فوق لسانه لتصطدم بمسامع دلال على عجل قائلاً:

__السيد أحمد يود الزواج بك وأنا موافق.

صمتت لم تجبه لا بدافع الحياء ولكن بدافع التشبع والارتواء من هاته الدكتاتورية التي تلازمه كقهوته الصباحية ومشاريعه الأزلية (...)²⁸".

يشكل هذا الموقف منعطفاً حاسماً في شخصية دلال بين الانتفاضة أمام جبروت والدها في قرار مصيري أم الاستكانة والإذعان، ومن يتتبع خط سير هذه الشخصية يشعر بمدى التخبط والصراع الذي تعانيه، في وسط لا يساندها في موقفها أحد حتى أمها سلمى وهذا ما زود الفجوة بين دلال وبين من يحيط بها، مما غرّب ذاتها أكثر، تقول سلمى غاضبة من دلال:

"__لم يكن قط من اللائق أن تجادلي والدك في مسألة زواجك هو أدري بمصلحتك منك.

لم تجد دلال ما تقوله كان هذا دليلاً قاطعاً على موافقة والدتها بحاته الصفقة الملعونة صفقة العمر"²⁹. فقدت دلال الأمان الذي كانت تراه في أمها والتي لم تجد مساندتها وهذا ما أوجعها وزادها غربة على غربة، هي التي تشعر بتواطؤ أعز الناس إليها ما كان لها أن ترد على أمها سلمى "لأنها أصبحت أكثر ضعفاً مما كانت عليه، أكثر قهراً وهي ترى بعيونها وتشعر بفؤادها المحترق هذا التواطؤ بين أعز الناس إليها عليها. كم هو مؤلم أن يصبح الشخص نفسه الذي كان مصدر أمنك وسلامك مصدر خوفك وآلامك."³⁰ فالأصعب من الشعور بالذنب هو تواطؤ الذين عانوا الويلات منه، فالمرأة التي سلبت حق العيش وهي الأم سلمى لم تناصر ابنتها التي تعيش الظروف ذاتها وإن اختلفت الظروف والأزمان.

كانت دلال بين شد وجذب مع والدها، لكن الذي سيحدث المفارقة هو أن دلال ستوافق على الزواج من السيد أحمد بإرادتها ودون ضغط من والدها، فهي لازالت مقتنعة بعدم وجود أي تكافؤ عمري بينها وبين السيد أحمد، لكن بخبرته العمرية والحياتية استطاع أن يفهم نقاط ضعف دلال وعرف بحنكته أنها أنثى عطشى للحب والاهتمام وأنها تهوى الأدب، واستطاع أن يسكن مخاوفها عندما قبل بشروطها التعجيزية في أن يكتب كل أملاكه باسمها، يقول السيد أحمد:

"__هل تعلمين أن أول الأشياء التي سأفعلها بعد الزواج هو مساعدتك على نشر كتاب يجب عليك الآن الانطلاقة في كتابته.

__دمعت عينا دلال من الفرحة وقطفت كل أزهار الحديقة دفعة واحدة، كم أنت مبالغتها أيتها الحياة بين رجل أراد أن يقتلع مشاعرها من الجذور وآخر يزرع بذورها كي تنمو وتكبر (...)"³¹.

إلا أن سلسلة من الأحداث المفاجئة والصادمة كانت بمثابة المنعطف الحاسم في إنهاء معاناة دلال؛ كانت بدايتها اكتشاف خداع السيد أحمد لها وأنه يهودي يخفي ذلك وأن الطيار الذي كانت تحبه هو ابنه لتقلب الأمور رأساً على عقب (...)" سمعته يتكلم لكنها لم تكن لغتها ولا حتى إحدى اللغات التي تعرفها، كان يرتل بعض

الآيات بالعبرية ما يسمونها بالصفح فتحت الباب وعيونها غارقة في بحر من الدهشة والألم (...). صقع وهو يراها جثا على ركبتيه وهو يرى حلمه يتبدد أمام عينيه سقطت الهدية من يدها وكل السعادة التي وجدتها مع ماتت لحظتها.³²

إلا أن الحدث المزلزل والذي غيّر موازين المعادلة هو اعتقال والدها بتهمة قتل صديقه سامي "استغربت دلال هذه الأحداث التي ارتقت بين طيات أيامها كزائر عميل للإساءة بكل أنواعها، رجل كانت تخاله صديقا لكنه مخادع وآخر ظنته والدها لكنه كان قاتلا ورجل ألغته من قائمة مشترياتها لأنه لم يكن بالثمن الذي يريده والدها (...)."³³ أن لدلال أن تتحرر من كل القيود، وتنفض غبار العجز والخضوع هي أدركت أن بيدها النهوض من جديد هي فقط "من يعلن البداية ويشهر بالنهاية ويقرر ويخطط ويرواغ ويباغث ويتحدى ويناهض ويفاوض ويتصدى هي فقط من ينتصر".³³

حققت دلال ما كانت تصبو إليه طول حياتها وكانت جريئة بأخذ قرارات مفصلية بالاستقالة من منصبها وترك إدارة الشركات لعمها سمير "رأت الأشياء بأمل جديد ففتحت لها أبواب الحظ وتمرست هواية الكلمات، وأبدعت في إدخال أحرفها مرمى الجمل في ملعب الأدب أتقنت رسم جراحها وكلموها ومشاعرها المتمردة على عالم يقيس الإنسان بوزنه لا بأخلاقه، بثروته لا بمبادئه بممتلكاته لا بمواقفه عالم لا يعرف أن الإنسان لا يصمد طويلا في معركة ماتت فيها كل أحاسيسه، عالم لا يعرف عن الإنسان شيئا".³⁴

يمكن أن نخلص مما سبق أن عجز دلال على تحقيق أحلامها في أن تكون أديبة، وفي تحقيق حلمها في الزواج والأمومة ممن تحب عمق اغترابها عن ذاتها، وقوى تيهها بين ما تريد وما تعيش. لكن لو نظرنا بمنظور آخر إلى شخصية دلال وحللنا موقفها وتصرفها لمواجهة هذا العجز نجد الخضوع والإذعان، فرغم ما اتصفت به ظاهريا أنها امرأة قوية، متمردة، عملية، ومتعجرفة إلا أنها كانت تحمل بين ثناياها امرأة هشة كسيرة لا تملك حتى القدرة على قول كلمة "لا"، ويمكن التذكير بمواقفها كالآتي:

قرار الوالد	موقف دلال
قراره بأن تدرس الاقتصاد	التململ، والنتيجة الخضوع والانصياع
قراره بأن لا تتزوج رجلا أقل منها ثروة، ورفض زواجها من الطيار.	انكسار وانهايار وعدم مواجهة، والنتيجة خضوع وإذعان
قراره بأن تتزوج صديقه أحمد الذي يكبرها بخمس وثلاثين سنة، بحجة أنه غني.	رفض دلال لهذا الزواج، وهنا علت نبرة الرفض عما سبق، إلا أنها رغم ذلك وافقت على الزواج منه بعد تأثير السيد أحمد عليها، فظاهريا هي من أخذ القرار لكن ضمينا هي أذعنت لقرار والدها، لأنه حصرها من البداية في هذا الخيار فلم نر دلال تتمرد وترفض لأجل

حياتها.

حتى إذا عدنا للأحداث الأخيرة التي غيرت مصير دلال نجد أن تحررها وتمرداها كان لأن مجرى الأحداث سار بهذه الطريقة غير المتوقعة لصالحها، فلو فرضنا أن دلال لم تكتشف خداع السيد أحمد ولم يسجن والدها بتهمة القتل هل كانت ستستقيل من منصبها وتنهج نهج الكتابة؟ فكأنما دلال سبقت إلى هذه النهاية التي يمكن ردها إلى القدر، لكن هل قاومت ذلك العجز؟ ألم تكن لها بدائل وحلول في الدفاع عن حقها في العيش؟ ألم يكن إذعانها لوالدها دون مقاومة ورفض سببا في استمرار سيطرته عليها وحرمانها من أبسط حقوقها؟ ترى لو قالت دلال لوالدها "لا" عندما أرادها أن تدرس الاقتصاد ما الحسائر التي كانت ستتكبدها؟ ماذا لو دافعت عن قرار زواجها من الطيار؟ فكل هذه البدائل كانت متاحة أمامها إلا أنها اختارت الطريق الآخر الإذعان والخضوع، وهذا من نتائج شعور الإنسان بالعجز فهو يخشى المقاومة ويستسلم للوضع السائد، أو تأتي معجزة إلهية كما حدث حتى نزول كل العوائق التي لطالما كانت سببا في غربتها وتعاستها.

5_ خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية نخلص إلى أن ظاهرة الاغتراب ظاهرة معقدة تعقد الذات البشرية، وأنها أكثر تعقيدا في النص الروائي فنص "أحاسيس في المنفى" صور الاغتراب في عمق تعقيداته وتناقضاتها الماثلة في مظهري العجز واغتراب الذات، وأن الإنسان رغم عجزه وغربته وانفصاله عن العالم لا بد له من المقاومة والتمرد على القوانين الجائرة التي تحرمه حق العيش بحرية وسلام.

الهوامش:

- 1- ينظر: عبد اللطيف مُجد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة، 2003، ص 19
- 2- المرجع نفسه، ص 20
- 3- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981، ص 420.
- 4- مُجد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الجيل، بيروت، 2001، ص 470
- 5- ينظر: طارق بن موسى العتيبي، الاغتراب دراسة تأصيلية فلسفية علمية، دار الكتاب الجامعي، الرياض، ط 1، 2018، ص 14.
- 6- ينظر: المرجع نفسه، ص 15، ص 16.
- 7- ينظر: حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006، ص 37.
- 8- المرجع نفسه، ص 38.
- 9- المرجع نفسه، ص 39.
- 10- ينظر: عبد اللطيف مُجد خليفة، المرجع السابق، ص 21
- 11- ينظر المرجع نفسه، ص 21
- 12- ينظر: المرجع نفسه، ص 22
- 13- ينظر: المرجع نفسه، ص 35.
- 14- ينظر: المرجع نفسه، ص 35
- 15- ينظر: عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، دار المحاكاة، دمشق، ط 1، 2011، ص 6

16- ينظر: عبد اللطيف مُجد خليفة, المرجع سابق ص36

17- ينظر: المرجع نفسه, ص36, 37

18- أسمى الزهار, أحاسيس في المنفى, دار الفراي, بيروت, ط1, 2021, ص12

19- المصدر نفسه, ص22

20- المصدر نفسه ص22

21- المصدر نفسه ص44

22- المصدر نفسه ص46

23- المصدر نفسه ص46

24- المصدر نفسه ص73

25- المصدر نفسه ص73

26- المصدر نفسه ص127

27- المصدر نفسه ص111

28- المصدر نفسه ص116

29- المصدر نفسه ص116

30- المصدر نفسه ص157

31- المصدر نفسه ص185

32- المصدر نفسه ص188

33- المصدر نفسه ص188

قائمة المصادر والمراجع:

1_ أسمى الزهار, أحاسيس في المنفى, دار الفراي, بيروت, ط1, 2021

2_ عبد اللطيف مُجد خليفة, دراسات في سيكولوجية الاغتراب, دار غريب, القاهرة, 2003

3_ أحمد ابن فارس, معجم مقاييس اللغة, م4, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1981

4_ مُجد بن أبي بكر الرازي, مختار الصحاح, دار الجليل, بيروت, 2001

5_ طارق بن موسى العتيبي, الاغتراب دراسة تأصيلية فلسفية علمية, دار الكتاب الجامعي, الرياض, ط1, 2018

6_ حلیم بركات, الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ط1,

2006